

## العمل الصالح وخير الأعمال



﴿مَّا يُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ عَلَى نِيلِ مَقَامِ الْقُرْبَى إِلَهِي﴾، العمل الصالح، وهو يدفع بالنفس الإنسانية في طريق التكامل، يقول تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُزْثَرٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَذِكْرِيَتْهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَذِكْرِيَتْهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/ 97). وقد أكد القرآن الكريم كثيراً على العمل الصالح، وأنّه الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان وتكامله، وهذا العمل إِمَّا واجب أو مستحب، وقد حددت الواجبات كما حدّدت المستحبات في الشعـ الحنيف، ومن الواضح أنّ الأهمّ هو القيام بالواجبات، فإذا فرغ من الواجبات ينتقل إلى المستحبات، فلا يمكن لشخص أن ينال مقام القرب إذا قصّر في الواجبات، حتى لو بذل جهوداً مضاعفة في المستحبات، ومن هنا سوف نبدأ بالحديث عن الواجبات، ونشير إلى بعض منها، ثمّ نتحدّث بعد ذلك عن بعض المستحبات، لكن بما أنّ الإخلاص في العمل مشترك بينهما، ويعدّ شرطاً أساساً للقرب، فستتعرّض له ولمراتب العبادة أوّلاً. 1- الإخلاص: إنّ مقام الإخلاص من أرفع المقامات، وله آثار جليلة جدّاً ذكرتها الروايات بالتفصيل، يقول رسول الله ﷺ (ص): "ما أخلص عبد الأربعين صباحاً إِلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". وتلك القلوب المخلصة تصبح مواضع لنظر الله تعالى، يقول الإمام عليّ (ع): "أين الذين أخلصوا أعمالهم الله، وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله". وللإخلاص مراتب عديدة، أدناها أن يخلص المرء عباداته من الشرك والرياء والعجب، وأن يؤدّي بها الله تعالى فقط، وهذا المستوى هو شرط لصحّة

العبادة، فلا تكون العبادة صحيحة من دونه، ولا شك أن نية المرء تؤثر في مصيره يوم القيمة، يقول رسول الله (ص): "إذا عملت عملاً فاعمله خالصاً، فإنما لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً"، ويقول الإمام الصادق (ع): "إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيمة".

2- مراتب العبادة: ليست العبادة مرتبة واحدة، بل هي تختلف باختلاف نيات الذين يؤدونها، وهم على فئات: الفئة الأولى: الذين يعبدون الله تعالى خوفاً من عذابه. الفئة الثانية: الذين يعبدون الله طمعاً في جناته. هذه الأهداف لا تضر بالعمل، وهي توجب القرب الإلهي، وإن كان الذين لديهم هذه الأهداف لا تكون عبادتهم بمستوى الذين يقومون بها لأهداف أخرى. الفئة الثالثة: وهو الذين يعبدون الله شكراً لنعمه، وهذا القصد هو أفضل من غيره، يقول الإمام علي (ع): "إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار". الفئة الرابعة: الذين يعبدون الله تعالى ل التربية أنفسهم وتزكيتها، وهذا القصد لا يضر بإنفصال العمل. الفئة الخامسة: الذين يعبدون الله تعالى لأنهم يعرفونه وأنه مفيض الخيرات والكمالات، فهو أهل للعبادة وهم يخشعون أمامه ويخصعون له ويحبونه، لأنهم وجدهم جديراً بأن يعبد، هؤلاء هم أفضل من غيرهم. ولابد من التأكيد على حقيقة هامة وهي: أن الجد في العبادة يوصل الإنسان إلى الإنفاق، يقول أمير المؤمنين (ع): "الإنفاق ثمن العبادة"، وهنا يكمل الإيمان، فعنده (ع): "من أحب الله وأبغضه وأعطى الله ومنع الله فهو منه يكمل إيمانه".

3- خير الأعمال: الصلاة هي من أفضل الأعمال الصالحة التي تدفع الإنسان في طريق القرب من الله تعالى، يقول الإمام الرضا (ع): "الصلاه قربان كل تقىي"، وفي حديث آخر له (ع): "أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وذلك قوله تعالى: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق/19). والصلاه هذه هي الصلاه التي تُقبل فيها على الله، وتؤدي إليها بشروطها، ويكون قلبك فيها حاضراً، ولذا سوف نتحدّث عن حضور القلب في الصلاه.

4- حضور القلب في الصلاه: الصلاه تركيب ملكتي، وهي وسيلة الاتصال بالله تعالى، والتضرع له وذكره، وهي معراج المؤمن، وميزان قبول الأعمال، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي كل جزء من أجزاءها سر إلهي، لكن بشرط أن يكون فيها روح وحياة، وروح الصلاه حضور القلب والتوجيه إلى الله والخشوع بين يديه، لأن الصلاه بدون قلب، كالجسد من دون روح، فحضور القلب هو روح الصلاه، ومن دونه تكون الصلاه ميتة. فعن رسول الله (ص): "إن من الصلاه لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإن منها لما يلف كما يلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجه صاحبها، وإنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك". وعن الإمام أمير المؤمنين (ع): "لا يؤمن أحدكم في الصلاه متکاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكّر في نفسه فإنه بين يدي ربّه، وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه". وروي عن علي بن الحسين (ع) أنه صلى

فسقط الرداء عن منكبيه، فتركه حتى فرغ من صلاته، فقال له بعض أصحابه: يا بن رسول الله سقط رداًوك عن منكبيك فتركته ومضيَت في صلاتك؟ فقال (ع): "ويحك تدري بين يدي من كنت؟ شغلني وآذا ذلك عن هذا، أتعلم أنزه لا يقبل من صلاة العبد إِلَّا ما أقبل عليه؟"، فقال له: يا بن رسول الله هلكنا إِذاً، قال (ع): "كلا إِنَّ إِلَّا يتمُّ ذلك بالنوافل". 5- مراتب حضور القلب: لحضور القلب مراتب عديدة، نشير إلى بعض منها بشكل مجمل: الأولى: أن يكون المصلي ملتفتاً في صلاته بالإجمال لله تعالى، وإن لم يكن ملتفتاً لمعاني الألفاظ بالتفصيل. الثانية: أن يلتفت المصلي لمعاني الكلمات، فضلاً عن كونه متوجهاً إلى أنزه بكلام الله تعالى ويتصدر إليه. الثالثة: أن يصبح المصلي عارفاً بحقيقة كل ذكر من أذكار الصلاة، فضلاً، عن كونه ملتفتاً مع من يتكل عليهم. الرابعة: أن تدخل تلك المعرفة إلى باطنه بشكل كامل، وهنا يكون اللسان تابعاً للقلب في أفعاله. الخامسة: أن يصل المصلي إلى مرتبة الحضور الكامل، فلا يرى غير الله ويغفل عن كل ما سواه. 6- العوامل المؤثرة في حضور القلب: بمجرد أن يقف المصلي للصلوة، حتى تبدأ رياح الأفكار تأخذه يميناً وشمالاً، فكان من الضروري الإلتفات إلى أمور قد تكون مفيدة في حضور القلب: 1- مكان الخلوة: الأفضل لله المصلي أن يختار مكاناً ليس فيه ما يلفت انتباذه عن التوجيه لله تعالى، ويحاول أن لا يلتفت ما حوله من أمور تصرفه عن التوجيه له تعالى. 2- رفع الموانع: من قبيل إذا كان مضطرباً لجهة العطش، بأن يشرب ثم يصلّي، أو إن كان تبعاً يرتاح ثم يصلّي، وهكذا كل الأمور التي تمنعه عن التوجيه للصلوة، ولعل من أخطر الموانع التعلق بأمور الدنيا، كالمال والجاه وغيرهما، لذلك على المصلي أن يقطع علاقته بهذه الأمور، حتى يسهل عليه حضور القلب والتوجيه نحو الله. 3- تقوية الإيمان: إن توجيه الإنسان لله تعالى يرتبط بمقدار معرفته، فمن يصل إلى أكمل الإيمان، ويتعزز على عظمة الله وقدرته، ويرى الله تعالى حاضراً، سيكون قلبه حاضراً لدى الصلاة. قال رسول الله (ص): "اعبد الله كما زاك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك". 4- ذكر الموت: إذا التفت الإنسان إلى أن الموت قد يأتيه في أي وقت، وأن هذه الصلاة قد تكون آخر صلاة يصلّي بها، فلن تكون صلاته كصلاة الغافلين، ولذا من المستحسن أن يتصور المصلي أن هذه الصلاة التي يصلّي بها قد تكون آخر صلاة، وأنه لم يبق أمامه إلا هذه اللحظات لتختم صحيحة أعماله. عن الإمام الصادق (ع): "إذا صليت صلاة فريضة فصلها صلاة مودع؛ يخاف أن لا يعود إليها أبداً؛ ثم اصرف ببصرك إلى موضع سجودك، فلو تعلم من عن يمينك وشمالك لأحسنت صلاته، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه". 5- التهيئة والاستعداد للصلوة: على المصلي أن يتهيأ للصلوة، فيقوم بكل ما ذكرناه قبل صلاته، ويبدأ بالاذان والإقامة، ويقرأ الأدعية الواردة في هذا المجال، ويقول: "يا محسن قد أتاك المسيح"... فإذا حصل الخشوع كبر تكبيرة الإحرام وشرع في صلاته. يقول الإمام الصادق

تزریقیہ النفس